

كارثة يونيو .. وتصفية دور مصر الاقليمي

د . رؤوف عباس

الأربعاء، 4 يونيو 1997

عندما أورد نابليون مصر في مذكراته وصفها بأنها "أهم بلاد العالم" ويقصد بذلك أن مصر بموقعها الجغرافي تعد مفتاح العالم القديم مما يضفي عليها طابعا خاصا وقد املني هذا الموقع علي حكام مصر - منذ الفراعنة - دور اقليمي حتمه "الأمن القومي" وضع في اعتباره الدائرة الافريقية ودائرة الهلال الخصيب فكان أمن البحر الأحمر دائما شأنا مصرياً، وكذلك جنوب مصر وبلاد الشام . حدث هذا من زمن الفراعنة وعلي مر تاريخ مصر الاسلامي وأيام محمد علي باشا ثم الخديو اسماعيل وارتبطت أقدار مصر بمدي مالها من يد عليا في الدائرتين .

وعندما قامت ثورة يوليو 1952، كان واضحا في فكر عبد الناصر هذا البعد الهام للأمن القومي المصري فتحدثت عن فلسفة الثورة عن الدوائر الثلاث المتداخلة: العربية والإفريقية والإسلامية التي يجب أن يدور فيها دور مصر الاقليمي .

ومنذ الأيام الأولى للثورة حرص الغرب علي توظيف هذا الدور لصالحه بجر مصر الي الأحلاف واجهاض محاولاتها لتحقيق الاستقلال الوطني التام، وسعيها لتطهير دوائر أمنها القومي من الوجود الاجنبي وعلي رأس ذلك كله ادراكها أن قضية فلسطين قضية مصرية لأن فلسطين كانت -علي مر العصور- بوابة مصر التي اجتاحتها الغزاة عبرها .

وما العدوان الثلاثي الذي وقع عام 1956، و كارثة يونيو 1967، الا جولات في صراع دائم لتجسيم دور مصر الاقليمي أو تهميشه وهو ماتحقق من خلال التسويات التي أعقبت حرب أكتوبر 1973 . ولما كانت هزيمة يونيو 1967 -عند جيلي- زلزالا رهيبا تهاوت معه أماننا وأحلامنا، وأصابتنا بالاحباط والاكتئاب والهوان، فقد ظلت حقيقة ماجري في يونيو 1967 ضالنتنا حتي بدأت دور الوثائق الغربية تكشف لنا عن أوقاها، وأتيح لي -عام 1995 - الاطلاع علي وثائق مصر بدار الوثائق القومية بواشنطن ودار المحفوظات العامة بلندن بحثا عن جذور كارثة يونيو، ورغم أن الملفات المفتوحة للإطلاع كانت لا تتجاوز عام 1964 ، إلا أنها كانت تعطي بوضوح صورة ما كان يجري في كواليس حلف الأطلنطي والخارجية الامريكية من تحضير لتصفية دور مصر الاقليمي عندما تجاوزت مصر الخطوط الحمراء بتدخلها العسكري في اليمن عام 1962 من ثم سيطرتها علي البحر الأحمر إضافة إلى تحكمها في قناة السويس .

ورغم ما كان يبدو علي السطح من صراع وتوتر مع الغرب، فان ذلك لم يصل الي حد المواجهة حتي عام 1962 إذ كانت مصر حريصة علي اقامة علاقات متوازية مع الكتلتين الغربية والشرقية في عصر الحرب الباردة حفاظا علي استقلالية القرار المصري، واستفادت مصر من حرص أمريكا علي موازنة المصالح السوفيتية في مصر بتقديم المعونات وتشجيع حلفائها من دول الاطلنطي علي تمويل بعض المشروعات، ومن خلال صفقات القمح، والمنح الدراسية وغير ذلك من مظاهر التعاون التي قصد بها عدم ترك المجال خاليا للسوفييت، وتوفير اوراق يمكن أن يلعب بها الغرب عند اللزوم للضغط علي مصر .

وفي هذا الاطار احتفظ عبد الناصر بعلاقة ودية مع أمريكا فيما بين 1957 - 1962 ورغم ما كان يبدو علي السطح من مواجهة للغرب تتضح من خلال الوثائق الأمريكية " وخاصة تقارير السفير جون بادو " وظل عبد الناصر يؤكد لأمريكا حرصه علي تنمية العلاقات مع الغرب، مع عدم المساس باستقلال مصر الوطني ومصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وأبدي تفهمه التام لدور الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بحكم مالها من مصالح. من ذلك استجابته للإنداز "غير المعلن" الذي تلقاه من الرئيس الامريكي عشية قيام الوحدة مع سوريا عام 1958 والذي حذره من "ضم" لبنان والأردن الي دولة واحدة وتجلي التزامه بذلك خلال الأزمة اللبنانية عندئذ، وفي المقابل قدرت أمريكا لعبد الناصر موقفه المعادي للشوعية، وبطشه بالشيوعيين المصريين، واتسام العلاقة بالسوفييت بطابع براجماتي وليس أيديولوجيا، فعندما وقع انقلاب الانفصال عام 1961 أعدت الخارجية الامريكية تقريرا للرئيس الامريكي ذهب فيه الي أن مصلحة أمريكا

والغرب تقتضي بقاء الجمهورية العربية المتحدة متماسكة "لأنها تقف سدا منيعا ضد التوسع الشيوعي في الشرق الأوسط" ونصحت أمريكا حلفاءها من دول الاطلنطي وعملاءها من الحكام العرب بعدم الاعتراف بالنظام السوري الجديد إلا بعد تحديد مصر لموقفها وبالفعل لم يعترف الغرب بالنظام إلا بعد أن أعلن جمال عبد الناصر قبوله - ضمنا- بما حدث. ولكن الصورة اختلفت تماما منذ وقوع ثورة اليمن عام 1962، والتدخل المصري فيها فتكشف الوثائق الامريكية والبريطانية عن تواتر اجتماعات حلف الاطلنطي منذ عام 1963 لدراسة "مشكلة عبد الناصر" وكان هناك تنسيق دائم مع اسرائيل والأردن ولم يكن غريبا أن تبدأ اسرائيل التحرش بالعرب من خلال مشاريع تحويل مجري الانهار مما ترتب عليه من عقد مجلس القمة العربي 1964 واطلاق تشكيل القيادة العربية الموحدة، وهنا تزايد ايقاع اجتماعات لجان حلف الاطلنطي التي انتهت الي أن الدور الاقليمي لمصر بلغ حد الخطر بالسيطرة علي البحر الاحمر اضافة الي قناة السويس وتهديد منابع البترول في الجزيرة العربية، وخاصة أن حاجة الغرب الي بترول الشرق الاوسط ستزيد بنسبة 95 % عام 1970 ومعني ذلك ان عبد الناصر يستطيع خنق الاقتصاد الغربي، ومن ثم وجبت تصفية الدور المصري .

وتقع الخطة التي وضعها حلف الاطلنطي في ثلاثة ملفات ستظل مغلقة حتي عام 2017 لخطورتها علي استراتيجيات الغرب بالمنطقة، وتحمل بين طياتها تفاصيل خطة التخلص من عبد الناصر وتهميش دور مصر الإقليمي ولعل إغلاقها حتى مرور خمسين عاما يعني أن بعض جوانب السياسة التي رسمت عام 1964 لازال ينفذ حتي الآن ورغم ما قيل عن سلبيات ادارة أزمة 1967 فإن خطة تصفية الدور المصري نجحت في تحويل الوجود المصري باليمن الي ادارة لاضعاف القوات المسلحة وارهاقها واستنزاف الاقتصاد المصري، ورغم ادراك عبد الناصر لذلك فيما بعد إلا أنه عجز عن الخروج من تلك الورطة لأن معني ذلك الاضرار بالأمن القومي لمصر فكان السير علي طريق فخ 1967 حتميا، وكانت نتيجته محققة لما سعي اليه الغرب.